– ٣٣ –

قيامة المسيح وقيامتنا

+ «هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ» (مز ١١٨: ٢٤).

تمهيد:

حينما قال الربُّ يسوع لمرثا: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥)، فقد أضاف هنا "القيامة" إلى حقيقة المسيح الأصليَّة، التي هي الحياة: «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ» (يو ١: ٤). فالمسيح الكلمة حيٌّ بألوهيَّته مع الآب: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ» (يو ٥: ٢٦)، فالابن هو الوحيد الذي كانت له الحياة في ذاته، وبغيره لم يكن شيءٌ ممَّا كان (انظر: يو ١: ٣)[١].

أمَّا الحديث عن القيامة فقد جاء نتيجة لدخول الموت إلى الطبيعة البشريَّة، حيث أصبحت القيامة ضرورة لكي تعود نفوسنا إلى الحياة مرةً أخرى، ولا يمكن أن يتمَّ هذا الأمر إلَّا بواسطة ينبوع الحياة نفسه، الذي له القدرة أن يهبنا الحياة مرةً ثانية (بالقيامة) لكلِّ مَن يؤمن بموت الربِّ وقيامته، لأنَّه هو واهب الحياة منذ البدء، وهو: «... خُبْزَ اللهِ ... النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ» (يو ٦: ٣٣)، وهو أيضًا «الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥).

فالمسيح الكلمة - الذي هو القيامة والحياة - وقف أمام قبر لعازر ليُقيمه من الموت ويُعطيه الحياة مرةً ثانية، لأنَّه هو «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ» (١تي ٦: ١٦)، الذي يقول عنه القديس أثناسيوس الرسولي: [هو خلق من البدء كلَّ شيء من العدم وحده. الذي يستطيع أن يجعل الإنسان غير مائت، لأنَّه الحياة بذاتها][٢].

فالمسيح بقيامته قد أعلن عن قوة الحياة الأبديَّة الكائنة فيه، التي أشرقت من داخل الموت، تلك القيامة التي ارتبطت بالصليب - رمز المحبة والطاعة - لذلك قام الربُّ

---

(١) "قيامة المسيح"، د. نصحي عبد الشهيد، ص ٩.

(٢) "تجسُّد الكلمة"، القديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. جوزيف فلتس، فصل ٢٠: ١.

حاملًا في جسده آثار جراحاته وآلامه وعذاباته والمسامير والحربة، لتكون شاهدةً على عمق محبته لجنس البشر إلى الأبد.

قيامة المسيح وقيامتنا:

إنَّ موت المسيح بالنسبة لنا يعني موت العالم القديم والإنسان العتيق بكلِّ ضعفاته، وقيامة المسيح صارت لنا البشارة المُفرحة بعالمٍ جديدٍ وبدايةٍ جديدةٍ، وبانتشار سلطان البرِّ والحقِّ والقداسة والفرح والسلام، واعتُبِرت قيامة المسيح بعينها قيامة لكلِّ الجنس البَشريِّ، وإعلانًا بانفتاح باب الملكوت أمامه.

فالربُّ يسوع قد قام من الموت ناقضًا أوجاعه، التي مَلَكَت على الخليقة العتيقة كلِّها، وكبَّلتها بأربطة الموت في عبوديةٍ مُرَّة، واقتحم بموته جحيم الموت وأماته، وكسَّر مصاريع أبواب الجحيم النُّحاسيَّة، وفكَّ أربطة الموت عن آدم وبنيه، وأطلق أسرى إبليس، مُبشِّرًا لهم بالعِتْق والحياة كخليقةٍ جديدة. وهكذا ابتُلِع المائتُ من الحياة (٢كو ٥: ٤)، الذي هو "المسيح"، بعدما افتقد الربُّ جُبلته بسبب محبته للبشر، وأبطل عزَّ الموت، الذي كان بمثابة العدوِّ الأخير والمُرعِب بالنسبة للإنسان، وأقامه في جِدَّة الحياة.

قيامة المسيح، بالنسبة لنا، إذن، تعني أنَّ الطريق إلى الأرض الجديدة والحياة الجديدة، قد صار مفتوحًا، بعدما أباد المسيح بموته وقيامته ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس (انظر: عب ٢: ١٤). وبقيامة المسيح نلنا نحن أيضًا البرَّ به (أي بالمسيح)، «لأنَّ غاية الناموس هي المسيح للبرِّ لكلِّ مَن يؤمن» (رو ١٠: ٤). فكلُّ مطالب الناموس قد أتمَّها المسيح في جسده، وصار هو غاية الناموس، ليكون هو أيضًا برًّا لكلِّ مَن يؤمن به ويُبشِّر بموته ويعترف بقيامته.

كذلك فإنَّ قيامة المسيح قد وهبتنا الولادة كخليقةٍ جديدة، ليس للشيطان أو الخطيَّة سلطانٌ عليها بعد، وصار لنا من قِبَلها رجاء الحياة الأبدية. كما نلنا بقيامة الربِّ قوة القيامة التي بها نستطيع النُّصرة على إبليس وكلِّ جنوده، حتى وإن سقطنا؛ فنحن - بالمسيح - قادرون بتوبتنا أن نقوم ونغلب بنعمته، لأنَّنا لم نَعُد بعد عبيدًا للخطيَّة، بل أبناء وورثة لإلهنا الحيِّ.

الإيمان بالقيامة:

القيامة، إذن، فعلُ قوَّةٍ إلهيَّةٍ كائنة في المسيح، بها يقدر أن يَهَب الحياة للجميع، وإن كانت الأناجيل لم تصف لنا كيفيَّة حدوث القيامة، لأنَّ هذا أمرٌ فائق على الإدراك والمعرفة البشريَّة؛ لكن كلُّ الشواهد اللاحقة لحدث القيامة قد أكَّدت حدوثها. ولعلَّ من أبرز هذه الشواهد العلامات الآتية:

١- **القبر الفارغ:** كان القبر الفارغ أول العلامات والإشارات لإعلان قيامة المسيح، التي أعلنها الملاك للنِّسوَة حاملات الطِّيب بقوله: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ هُهُنَا لكِنَّهُ قَامَ!» (لو ٢٤: ٦). ثمَّ يأتي دور الرسولَيْن بطرس ويوحنا؛ حيث كان منظر الأكفان وتصوُّر خروج الجسد منها بطريقةٍ مُذهِلة، كافيًا لهما للإيمان والإيقان بالقيامة، حيث يُعبِّر يوحنا الرسول بالروح عن نتيجة مُعاينته للأكفان بقوله: «وَرَأَى فَآمَنَ» (يو ٢٠: ٨). وكذلك مريم المجدليَّة عند زيارتها للقبر المقدَّس، واكتشافها عدم وجود جسد الربِّ يسوع به، فبكت أولًا بسبب حزنها وضعف إيمانها، ولكن حزنها سرعان ما تحوَّل إلى فرحٍ بسماعها نداء الربِّ يسوع لها، ثمَّ رؤيتها لشخصه المُبارك حيًّا أمامها!

٢- **ظهورات المسيح المُتعدِّدة بعد القيامة:** أظهر المسيح نفسه مراتٍ عديدة لشهودٍ معيَّنين، ليقوموا هم أيضًا - بعد تمام تحقُّقهم وتأكُّدهم من حقيقة القيامة - بالشهادة لها، كبشارة فرحٍ بالحياة الأبديَّة والفداء الأبدي اللذين نلناهما من قِبَل قيامة المسيح المقدَّسة؛ ومن ثمَّ، بدء الكرازة ببداية حياة الخليقة الجديدة وانتشار ملكوت الله على الأرض، من قِبَل هذه القيامة المجيدة.

ويوثِّق لنا البشيرون في الأناجيل، وكذلك بولس الرسول، العديد من ظهورات الربِّ بعد قيامته كمثالٍ حيٍّ لظهوراته الكثيرة، فالبشيرون ذكروا ظهورات الربِّ لهم عدَّة مرات وفي أماكن مختلفة، ولأفرادٍ وجماعاتٍ متنوِّعة، مثل: ظهوره لمريم المجدليَّة، وللنِّسوَة الأُخريات حاملات الطِّيب، ولتلميذَي عمواس. بينما ذَكَرَ بولس الرسول ظهور الربِّ له، وظهوره لآخرين، وظهوره أيضًا لجماعة من التلاميذ بلغت خمسمائة شخص مرَّةً واحدة، كان بعضهم ما زال على قيد الحياة إبَّان كتابة بولس الرسول رسائله (١كو ١٥: ٥-٨)، ولكن يُلاحَظ في تسجيلات بولس الرسول أنَّه لم يأتِ على ذِكْر ظهور المسيح للنِّسوة؛ وربما يرجع هذا لأنَّه كان يَعْلَم أن شهادات النِّسوَة لا يَعتدُّ اليهود بها ولا يوثِّقونها أو يأخذون بها، بحسب تقاليدهم.

وإضافة للظهورات الفعليَّة التي وثَّقها البشيرون وبولس الرسول، تُطلُّ علينا النبوَّات ورموز العهد القديم المتواترة والعديدة، بل وكلمات الربِّ يسوع نفسه التي تُشير، بل وتُحدِّد كلَّ تفاصيل موت الربِّ وقيامته باستعلانٍ مُبهِر، لتشهد كلُّها بقوة على صِدْق وتحقُّق القيامة، والتي بدأ الربُّ يسوع نفسه بشرحها وكَشْف أسرارها لتلميذَي عمواس عند ظهوره لهما، قبل أن يتعرَّفوا عليه، فألهبَ قلبيهما بالشوق نحوه، وفَتَحَ ذهنهما لفهم الكتاب والنبوَّات عنه، حتى انفتحت أعينهما وأبصراه عند كَسْر الخبز. فالنبوَّات التي يعجُّ بها العهد القديم عن قيامة الربِّ كفيلةٌ وحدها بدعم الإيمان بقيامته، وذلك لكلِّ من يؤمن أكثر من أيِّ دليلٍ آخر، أو حتى رؤيا العين، ويؤكِّد بولس الرسول هذا المعنى بقوله المتكرِّر لإظهار أهمية النبوَّات والكتاب في دعم الإيمان بتعبيره: «وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ **حَسَبَ الْكُتُبِ**» (٢كو ١٥: ٤).

تحقيق القيامة وفاعليتها[٣]:

أولًا: القيامة كفعلٍ زمني وتاريخي: كما سبق القول، فإنَّ تحقُّق القيامة الذي تمَّ على المستويَيْن الزمني والتاريخي، المنظور والموثَّق؛ سواء كان بشهادة الشهود الذين رأوا القيامة وعاينوها ولمسوها، أو بظهورات الربِّ لهم بعد قيامته وتحدُّثِه معهم ومُشاركتهم في طعامهم، أو بشهادة الكُتُب المقدَّسة والنبوَّات عن حتميَّة موته وقيامته بالجسد؛ فقد صار تحقُّق القيامة بهذه الصورة والملامح (زمنيًّا وتاريخيًّا)، وكأنَّها آخر معجزات المسيح التي يُتمِّمها لنا (زمان تجسُّده على الأرض)، والتي صارت هي المدخل الوحيد والمفتاح السرِّي للدخول إلى إدراك كلِّ أسرار أفعال المسيح الخلاصيَّة، بل وكلِّ أسرار الإنجيل كلِّه، فقد ألقت القيامة المنظورة وتحقُّقها الضوء على كلِّ حياة المسيح، الذي استُعلِن بقيامته ربًّا وإلهًا. فانكشفت لنا تدبيرات تجسُّده، ومعموديته ومعجزاته، وكلَّ أقواله وأعماله الفائقة، وموته الفدائي وقيامته المجيدة، بعدما أدخلها المسيح - بحقيقة قيامته المنظورة - إلى داخل دائرة الزمن والحواس، لتظهر لنا في دائرة التحقُّق والمعقول، رغم أنَّ الإيمان بهذه الأمور يلزم أن يتحقَّق بدون أيِّ فعلٍ زمني! ولكن القيامة المنظورة صارت ختمًا ونورًا كاشفًا لكلِّ الإنجيل.

---

(٣) "توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانيَّة"، كلمات وعظات للأب متى المسكين ألقاها على الآباء الرهبان في وادي الريان، ص ١٣٠، ١٣١.

ثانيًا: القيامة كفعلٍ روحي غير منظور ولا زمني: لم يُحدِّد المسيح على وجه الدِّقة أو الوضوح أزمنة حياته على الأرض، سواء زمن ميلاده أو معموديته أو كرازته أو موته، أو أيَّ حدثٍ تاريخي من سيرة حياته بالجسد على الأرض، مثلما حدَّد بكلِّ وضوحٍ ودقَّةٍ موعد قيامته من بين الأموات وزمان حدوثها؛ وذلك لأنَّ إتمامها (أي القيامة) وتحقُّقها يربطنا مباشرة بتحقيق كلِّ أحداث الإنجيل وفهمها والمُصادقة عليها.

ونحن لا نقدر أن نؤمن ونحِسَّ بقيامة المسيح وقوَّتها، ما لم نقبل أولًا روح القيامة؛ ولن نشعر أو نُدرك حضور المسيح معنا وفي داخلنا، ما لم نقبل قوَّة القيامة في ذواتنا، تلك التي نلنا عربونها في المعموديَّة.

كيف نقدر أن نقبل روح القيامة غير المنظورة في داخلنا؟

١- بتصديقنا وقبولنا لكلمة الله وكلمة النُّبوَّة الشاهدة بقيامته، مثل تلميذَي عمواس اللذان لم يتعرَّفا على المسيح السائر معهما، إلَّا بعدما قبلوا الكلمة، وصدَّقاها فنالا قوَّة القيامة، وانفتحت أعينهما عند كَسْر الخبز. وكذلك مريم المجدليَّة، التي لم تتعرَّف على المسيح القائم، رغم رؤيتها له، إلَّا بعد أن وهَبَها المسيح نفسه قوَّةً سرِّية في حديثه معها، فالتفتت وصرخت: "ربُّوني" الذي تفسيره: "يا مُعَلِّم".

٢- باتصالنا المباشر مع المسيح: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠)، وذلك كعلاقةٍ شخصيَّة قائمة على المحبَّة الكاملة والأمانة والطاعة وحفظ وصاياه، وحينئذٍ سوف يُظهِر لنا المسيح ذاته، ويملأ بحضوره البهيِّ كياننا: «... وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو ١٤: ٢١).

٣- بتجرُّدنا الداخلي وتغرُّبنا عن العالم وشهواته، وانفكاكنا من رُبُط الناس والعالم، لتسري فينا قوَّة القيامة وروحها: «فَإِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ» (كو ٣: ١).

فالقيامة فعلٌ إلهي، ولن يعمل فينا هذا الفعل إلَّا إذا فتحنا قلوبنا لنتقبَّله كقوَّةٍ فاعلةٍ حقيقيَّة حاضرة، لا كوعدٍ آتٍ، لأنَّ عدم التعرُّف على المسيح هو نتيجة طبيعية لعدم قبول روح القيامة داخلنا، بسبب ضعف الإيمان، وهذا الأمر استلزم أن يوبِّخ المسيح أصحاب مثل هذا الإيمان الضعيف، كما صنع مع التلاميذ الأحد عشر، وتلميذَي عمواس.

أسباب عدم إيمان التلاميذ أولًا بالقيامة[٤]:

تتلخَّص أسباب عدم إيمان التلاميذ أولًا بالقيامة، واختلاط مشاعرهم وتحيُّرهم، إلى النقاط التالية:

١- عدم استطاعتهم الجمع بين سَحْق الصليب، وما رأوه من مذلَّةٍ وضَعف من المسيح عند صلبه، وبين نُصرة القيامة ومجدها، وهو ما يُعرف بمضادة الخلاص.

٢- تصوُّر القيامة بالنسبة للتلاميذ كان كأنَّها حالة مجدٍ روحيٍّ غير عاديٍّ، وغير جسديَّة، سوف يصحبها حالة من القوَّة والمجد والسلطان، ولكن هذا سيكون في المجيء الثاني.

٣- الانحصار في الحوادث الزمنيَّة، وعدم الالتفات لكلمات النُّبوَّة عن أحداث صَلْب المسيح وقيامته حيًّا، ولا إلى كلمات المسيح لهم عن هذه النبوَّات، ولا لكلماته عن موته وقيامته ووعوده لهم، وبالتالي عدم تذكُّرها أو تصديقها.

٤- عدم تصوُّرهم إمكانية انتهار الموت وبُطلان قوَّته وسلطانه واندحاره أمام رئيس الحياة:«أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (١كو ١٥: ٥٥)، وبالتالي عدم تصوُّر إمكانية قيامة الجسد ليعود كما كان أولًا.

لقد كان وَعْد المسيح لتلاميذه بأن يَرَوه بعد قيامته، ليس وعدًا برؤيته بالجسد فقط، بل بعين الإيمان أيضًا، وهذا الوَعْد هو لهم ولجميع الأجيال اللاحقة؛ وذلك من قِبَل حضوره الدائم فيهم بروحه القدوس. فلم يَعُد أمر التحقُّق من القيامة يعتمد على الرؤية الجسديَّة بالعينين، لذلك نرى التلاميذ لم يحزنوا عندما صعد الربُّ أمام أعينهم إلى السماء، بل رجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيم (انظر: لو ٢٤: ٢)، وذلك لثقتهم في رؤياه وحضوره الدائمين في قلوبهم وحياتهم، عندما يَحلُّ الروح القدس الذي سيُرسله الآب لهم يوم الخمسين كوَعدِ المسيح الصادق، حيث سَرَت فيهم قوَّة القيامة، فجالوا مُبشِّرين وشاهدين بقيامة الربِّ المجيدة.

أخيرًا، نتذكَّر كلمات لحن: "Τοῦ λίθου لمَّا خُتِمَ": "... قُمتَ، في اليوم الثالث أيها المُخلِّص: مانحًا الحياةَ للعالم: لأجل هذا قوَّاتُ السمواتِ تَهتفُ لك يا وَاهبَ الحياة: المجدُ لقيامتِكَ أيها المسيح، المجدُ لملكوتِكَ، المجدُ لتدبيرِكَ، يا محبَّ البشر وحدَك".

---

(٤) عظة ألقاها قدس أبينا الروحي القمص متى المسكين، على الآباء الرهبان بوادي الريَّان، بمناسبة عيد القيامة المجيد، سنة ١٩٦٧م، ص ١١.